

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(المُحَاضَرَةُ السَّابِعَةُ)

مِنْ مَادَّةِ

شَرْحِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ

www.menhag-un.com

الأصل الثاني: معرفة العبد دينه

قال الإمام المصنف رحمه الله:

الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة.....

قال الشيخ العثيمين رحمه الله: أي من الأصول الثلاثة: معرفة دين الإسلام بالأدلة يعني: أن يعرف دين الإسلام بأدلتيه من الكتاب والسنة.

* قلت: فليس الدين بالرأي، ولا بالتقليد، ولا بالتخرف، والظن والوهم واتباع الهوى من عند الإنسان، ولكن الدين بالأدلة من الكتاب والسنة، قال علي رضي الله عنه: «لو كان الدين بالرأي لكان باطن الخف أولى بالمسح من أعلاه»^(١).

«معرفة دين الإسلام بالأدلة»: بعد أن فرغ الشيخ رحمه الله من الكلام عن الأصل الأول، وهو معرفة العبد ربه، وحققه رحمه الله تحقيقاً بديعاً، وساق عليه الأدلة الكافية، انتقل إلى الأصل الثاني، وهو معرفة دين الإسلام.

والدين في اللغة: يُطلق على عدة معانٍ:

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» في (الطهارة، ٦: ٢، ٣، ٤، ٥، رقم ١٦٢، و١٦٣، و١٦٤)،

و١٦٤)، وصححه الألباني في «الإرواء» (١٠٣).

مِنْهَا: الطَّاعَةُ وَالْإِنْقِيَادُ، يُقَالُ: دَانَ لَهُ دَيْنًا وَدِيَانَةً إِذَا خَضَعَ وَذَلَّ وَأَطَاعَ^(١).
وَمِنْ مَعَانِي الدِّينِ أَيْضًا: مَا يَتَدَيَّنُ بِهِ الْإِنْسَانُ^(٢)، يُقَالُ: دَانَ بِكَذَا، أَيِ:
اتَّخَذَهُ دَيْنًا وَمُعْتَقَدًا، وَتَعَبَّدَ بِهِ.

فَالدِّينُ يَكُونُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى وَذَلِكَ، وَلَهُ مَعَانٍ فِي اللُّغَةِ كَثِيرَةٌ^(٣).
بَعْدَ أَنْ فَرَّغَ الشَّيْخُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - مِنَ الْأَصْلِ الْأَوَّلِ شَرَعَ فِي بَيَانِ
الْأَصْلِ الثَّانِي، وَهَذَا الْأَصْلُ الثَّانِي هُوَ الْإِجَابَةُ عَنِ السُّؤَالِ الثَّانِي فِي الْقَبْرِ: «مَا
دِينُكَ؟» دِينِي الْإِسْلَامُ.

فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ عَالِمًا بِهِ، مُحِيطًا بِأَبْعَادِهِ، فَاهِمًا لِمَرَامِيهِ؛ حَتَّى
يَكُونَ آتِيًا بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ اللَّهُ فِيهِ، وَإِلَّا فَإِنَّهُ يَخْبِطُ خَبْطُ عَشَوَاءَ، وَيَحْسَبُ نَفْسَهُ آتِيًا
بِدِينِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ مِنْهُ بِمَبْعَدَةٍ.

«وَدِينُ الْإِسْلَامِ هُوَ الدِّينُ الَّذِي بُعِثَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَجَعَلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
خَاتَمَ الْأَدْيَانِ وَأَكْمَلَهُ لِعِبَادِهِ، وَأَتَمَّ بِهِ عَلَيْهِمُ النِّعْمَةَ»^(٤).



(١) «الصِّحَاحُ» (٢١١٨/٥)، «النِّهَايَةُ» (١٤٨/٢ - ١٤٩، الْمَكْتَبَةُ الْعِلْمِيَّةُ - بَيْرُوتُ)، «لِسَانُ
الْعَرَبِ» (١٦٩/١٣).

(٢) «لِسَانُ الْعَرَبِ» (١٧٠/١٣).

(٣) انْظُرْ: «لِسَانُ الْعَرَبِ» (١٦٦/١٣ - ١٧١، دَارُ صَادِر - بَيْرُوتُ).

(٤) «نُبْدَةُ فِي الْعَقِيدَةِ - مَجْمُوعُ فَتَاوَى وَرَسَائِلِ الْعُثَمِيِّينَ» (٩٩/٥).

تَعْرِيفُ الْإِسْلَامِ

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَهُوَ: الْإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِنْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: دِينَ الْإِسْلَامِ -وإن شئتَ فقل: الْإِسْلَامُ- هُوَ: «الْإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالْإِنْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ»، فَهُوَ مُتَضَمِّنٌ لِأُمُورٍ ثَلَاثَةٍ.

* قُلْتُ: فَدِينَ الْإِسْلَامِ يَقُومُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَسْسٍ:

الْأَوَّلُ: الْإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ.

الثَّانِي: الْإِنْقِيَادُ لِلَّهِ بِالطَّاعَةِ.

الثَّالِثُ: الْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.

قَوْلُهُ: (لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ): قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيُّ بَأْنٍ يَسْتَسْلِمُ الْعَبْدُ

لِرَبِّهِ اسْتِسْلَامًا شَرْعِيًّا، وَذَلِكَ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ ﷻ وَإِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ، وَهَذَا الْإِسْلَامُ هُوَ الَّذِي يُحَمَّدُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ وَيَثَابُ عَلَيْهِ.

* قُلْتُ: قَالَ: «اسْتِسْلَامًا شَرْعِيًّا»: يَعْنِي لَا يُرَادُ هَا هُنَا الْإِسْتِسْلَامُ الْقَدَرِيُّ الْكَوْنِيُّ؛ لِأَنَّ الْكُلَّ فِيهِ سَوَاءٌ.

فَالْكُلُّ كَوْنًا مُسْتَسْلِمٌ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ الْكَافِرُ وَالْمُؤْمِنُ، وَالْبُرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالطَّائِعُ وَالْعَاصِي، الْكُلُّ مُسْتَسْلِمٌ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَهَذَا لَا ثَوَابَ فِيهِ، إِذَا نَظَرَ إِلَى الْإِسْتِسْلَامِ الْقَدَرِيِّ.

فَكُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ سَيَّأَتِي اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَبْدًا؛ الْبُرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، حَتَّى الشَّيَاطِينُ دَاخِلُونَ تَحْتَ الْقَهْرِ، حَتَّى الشَّيَاطِينُ مَرْبُوبُونَ مُسَخَّرُونَ مَقْهُورُونَ، فَهُمْ مُسْتَسْلِمُونَ اسْتِسْلَامًا قَدَرِيًّا.

وَالشَّأْنُ فِي الْمَدْحِ هَا هُنَا وَالْمُرَادُ هُوَ مَا كَانَ اسْتِسْلَامًا شَرْعِيًّا بِتَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَعِبَادَتِهِ وَصَرَفِ الْعِبَادَةِ لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، فَهَذَا مَا يُمدِّحُ هَا هُنَا.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَمَّا الْإِسْتِسْلَامُ الْقَدَرِيُّ فَلَا ثَوَابَ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ لَا حِيلَةَ لِلْإِنْسَانِ فِيهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

* قُلْتُ: وَلَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ مَرْبُوبٌ مَقْهُورٌ عَبْدٌ مُذَلَّلٌ مُسَخَّرٌ، فَالْعَبْدُ بِالْمَعْنَى الْكَوْنِيَّةِ الْقَدَرِيَّةِ لَا يُمدِّحُ وَلَا يُذَمُّ، الْكُلُّ مُسْتَسْلِمٌ.

وَإِنَّمَا الَّذِي يُمدِّحُ هُوَ الْعَبْدُ بِالْمَعْنَى الشَّرْعِيَّةِ الَّذِي يُوحِدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَيَصْرِفُ الْعِبَادَةَ لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

الَّذِي يَخْرُجُ عَنْ هَذَا الْإِطَارِ يَكُونُ مَذْمُومًا، وَالَّذِي يَلْتَزِمُ بِهِذِهِ الْأَوَامِرَ الَّتِي
أَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهَا مِنْ تَوْحِيدِهِ وَصَرْفِ الْعِبَادَةِ لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَمُرَاعَاةِ الْأَمْرِ
وَالنَّهْيِ، فَهَذَا هُوَ الْعَبْدُ الْمَحْمُودُ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَهَذَا هُوَ الْأَسَاسُ الْأَوَّلُ.

قَوْلُهُ: (وَالْإِنْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ): قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَذَلِكَ بِفِعْلِ أَوَامِرِهِ
وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ؛ لِأَنَّ الطَّاعَةَ طَاعَةٌ فِي الْأَمْرِ بِفِعْلِهِ وَطَاعَةٌ فِي النَّهْيِ بِتَرْكِهِ.

* قُلْتُ: وَالتَّقْوَى هِيَ فِعْلُ الْمَأْمُورِ وَاجْتِنَابُ الْمَحْظُورِ، فَمَنْ فَعَلَ مَا أُمِرَ
بِهِ، وَانْتَهَى عَمَّا نَهِيَ عَنْهُ، فَهُوَ الْمُتَّقِي لِلَّهِ حَقًّا.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْبَرَاءَةُ مِنَ الشَّرِكِ أَيُّ: أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْهُ، وَيَتَخَلَّى مِنْهُ
وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ الْبَرَاءَةَ مِنْ أَهْلِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ
وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ
الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

* قُلْتُ: وَهَذِهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي قَدْ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا بَعْضُ النَّاسِ، أَوْ لَا يَلْتَفِتُ
إِلَيْهَا إِلَّا بَعْضُ النَّاسِ؛ لِأَنَّهُ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مُسْتَسْلِمًا اسْتِسْلَامًا شَرْعِيًّا، وَيُمَكِّنُ
أَنْ يَكُونَ فَاعِلًا لِلْأَوَامِرِ وَمُجْتَنِبًا لِلنَّوَاهِي، وَلَكِنَّهُ يَغْفُلُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ الثَّالِثِ،
وَهُوَ عَظِيمُ الْخَطَرِ جِدًّا، وَهُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ.



مَرَاتِبُ الدِّينِ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهُوَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ: الْإِسْلَامُ، وَالْإِيمَانُ وَالْإِحْسَانُ، وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ فَأَرْكَانُ الْإِسْلَامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحُجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ

* قُلْتُ: «الْمَرَاتِبُ: جَمْعُ مَرْتَبَةٍ، وَالْمَرْتَبَةُ وَالرُّتْبَةُ: الْمَنْزِلَةُ وَالْمَكَانَةُ، وَرَتَبَ الشَّيْءَ تَرْتِيبًا يَعْنِي: أَتَبَّهَ، وَجَعَلَهُ فِي مَرْتَبَتِهِ: أَيَّ فِي مَنْزِلَتِهِ وَفِي مَكَانَتِهِ» (١).

فَدِينُ الْإِسْلَامِ مَرَاتِبُ، وَبَعْضُهَا أَوْسَعُ مِنْ بَعْضٍ، وَبَعْضُهَا أَعْلَى مِنْ بَعْضٍ؛ فَالْإِسْلَامُ أَوْسَعُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ أَوْسَعُ مِنَ الْإِحْسَانِ، وَالْإِحْسَانُ أَعْلَى، وَالْإِيمَانُ أَعْلَى مِنَ الْإِسْلَامِ، هَذَا عِنْدَمَا يُذَكَّرُ هَذَا كُلُّهُ مَجْمُوعًا، وَأَمَّا إِذَا ذُكِرَ كُلُّ وَحْدَةٍ، فَلَهُ مَعْنَى يَأْتِي -إِنْ شَاءَ اللهُ-.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: بَيَّنَّ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- أَنَّ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ وَهِيَ الْإِسْلَامُ، وَالْإِيمَانُ، وَالْإِحْسَانُ.

(١) «الصَّحَاحُ» (١/١٣٣)، «النُّهَيْيَّةُ» (رتب) (٢/١٩٣)، «لِسَانُ الْعَرَبِ» (١/٤٠٩ - ٤١١)،

«الْمُصْبَحُ الْمُنِيرُ» لِلْفَيُومِيِّ (١/٢١٨).

دَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه حِينَ جَاءَ جَبْرِيلُ عليه السلام يَسْأَلُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْإِحْسَانِ، وَيَبَيِّنُ لَهُ ﷺ ذَلِكَ، وَقَالَ: «هَذَا جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»^(١).

* قُلْتُ: «لَهَا أَرْكَانٌ»، أَرْكَانُ الشَّيْءِ: جَوَانِبُهُ الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا، وَلَا يَقُومُ بِدُونِهَا، وَتَكُونُ جُزْءًا مِنْهُ^(٢).

قَوْلُهُ: «فَأَرْكَانُ الْإِسْلَامِ خَمْسَةٌ»: قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِيُّ رحمه الله: دَلِيلُ ذَلِكَ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ الْبَيْتِ»^(٣).

* قُلْتُ: «وَالْمُرَادُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الْإِسْلَامَ مَبْنِيٌّ عَلَى هَذِهِ الْخَمْسِ، فَهِيَ كَأَرْكَانٍ وَدَعَائِمِ الْبُنْيَانِ، وَالْمَقْصُودُ تَمْثِيلُ الْإِسْلَامِ بْبُنْيَانٍ وَدَعَائِمِ الْبُنْيَانِ هَذِهِ الْخَمْسُ، لَا يَثْبُتُ الْبُنْيَانُ بِدُونِهَا؛ -لَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَاقِلٍ يَبْنِي عَلَى غَيْرِ أَسَاسٍ، وَلَيْسَ مِنْ عَاقِلٍ يَبْنِي عَلَى غَيْرِ أَرْكَانٍ، وَلَيْسَ مِنْ عَاقِلٍ يَبْنِي عَلَى الرَّمَالِ،

(١) تَقَدَّمَ تَحْرِيجُهُ.

(٢) «الْنَهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ» لِابْنِ الْأَثِيرِ (٢/٢٦٠)، «لِسَانُ الْعَرَبِ» (١٣/١٨٥) - (١٨٦)، «التَّعْرِيفَاتُ» لِلْجُرْجَانِيِّ (ص ١١٢، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْإِيمَانِ، ٢، رَقْمُ ٨)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٥: ٤، رَقْمُ ١٦)، مِنْ حَدِيثِ:

ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما.

فَلَا تَثْبُتُ أَرْكَانُ دِينِ الْإِسْلَامِ هَذِهِ إِلَّا إِذَا تَحَصَّلَتْ، ثُمَّ لَا يَثْبُتُ الْإِسْلَامُ عَلَيْهَا إِلَّا إِذَا وَجِدَتْ، وَكَانَتْ قَائِمَةً -، وَبَقِيَّةُ الْخِصَالِ هِيَ كَالْتِمَّةِ لِلْبُنْيَانِ» (١).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: شَهَادَةُ أَنْ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ) رُكْنٌ وَاحِدٌ، وَإِنَّمَا كَانَتَا رُكْنًا وَاحِدًا مَعَ أَنَّهُمَا مِنْ شَقِيْنِ؛ لِأَنَّ الْعِبَادَاتِ تَبْنِي عَلَى تَحْقِيقِهِمَا مَعًا، فَلَا تُقْبَلُ الْعِبَادَةُ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ ﷻ، وَهُوَ مَا تَتَضَمَّنُهُ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاتِّبَاعُ الرَّسُولِ ﷺ وَهُوَ مَا تَتَضَمَّنُهُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

* قُلْتُ: وَلَا يُقْبَلُ عَمَلٌ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا إِذَا كَانَ خَالِصًا، وَكَانَ صَوَابًا.

فَلَا بُدَّ مِنْ تَوْفُرِ شَرْطِ الْإِخْلَاصِ وَشَرْطِ الْمُتَابَعَةِ؛ لِأَجْلِ ذَلِكَ كَانَتَا كَالرُّكْنِ الْوَاحِدِ، وَإِنْ تَكُونُ هَذَا الرُّكْنُ مِنْ شَقِيْنِ؛ مِنْ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَشَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

تَجْرِيدُ التَّوْحِيدِ لِلْعَزِيزِ الْمَجِيدِ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، هَذَا هُوَ الْإِخْلَاصُ، وَتَجْرِيدُ الْمُتَابَعَةِ لِلْمَعْصُومِ ﷺ، وَهَذِهِ: (أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ).



(١) «جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ - شَرْحُ الْحَدِيثِ الثَّلَاثِ» لِابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ (١/ ١٤٥)، مَوْسَسَةُ الرِّسَالَةِ.

مَعْنَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

قَالَ الْإِمَامُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]، وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ؛ «لَا إِلَهَ»: نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ «إِلَّا اللَّهُ»: مُثَبِّتًا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ.....

* قُلْتُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) اشْتَمَلَتْ عَلَى نَفْيٍ وَإِثْبَاتٍ، فَالشَّهَادَةُ شَهَادَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهَا رُكْنَانِ:

الرُّكْنُ الْأَوَّلُ: النَّفْيُ، «لَا إِلَهَ».

وَالرُّكْنُ الثَّانِي: الْإِثْبَاتُ، «إِلَّا اللَّهُ».

النَّفْيُ الْمَحْضُ لَيْسَ بِتَوْحِيدٍ؛ يَعْنِي يُمَكِّنُ أَنْ يَقُولَ الْإِنْسَانُ «لَا إِلَهَ» هَذَا لَيْسَ تَوْحِيدًا، وَكَذَلِكَ الْإِثْبَاتُ الْمَحْضُ؛ لِأَنَّ الْأَلَهَةَ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَثِيرَةٌ، وَهِيَ مَعْبُودَةٌ بَاطِلٌ.

فَإِذَنْ النَّفْيُ الْمَحْضُ لَيْسَ بِتَوْحِيدٍ، وَالْإِثْبَاتُ الْمَحْضُ كَذَلِكَ، وَلَا بُدَّ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا، يَعْنِي: مِنْ أَجْلِ أَنْ تَكُونَ مُوَحِّدًا تَوْحِيدًا صَحِيحًا، وَهُوَ تَوْحِيدُ الْمُرْسَلِينَ، وَهُوَ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ الْأَمِينُ ﷺ، لَا بُدَّ مِنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، وَهُوَ مَا جَاءَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، هَذَا هُوَ النَّفْيُ: ﴿غَيْرُهُ﴾، هَذَا هُوَ الْإِثْبَاتُ، وَهَذَا هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، النَّفْيُ وَالْإِثْبَاتُ.

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]: نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ، فَلَا بُدَّ مِنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ.

أَنْ تَنْفِيَ كُلَّ مَعْبُودٍ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهَ؛ فَإِنَّهُ لَا مَعْبُودَ حَقٌّ إِلَّا اللَّهُ، فَلَا بُدَّ مِنْ تَوْفِيرِ الرُّكْنَيْنِ: النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ شَهَادَةُ اللَّهِ لِنَفْسِهِ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَشَهَادَةُ الْمَلَائِكَةِ وَشَهَادَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِذَلِكَ، وَأَنَّهُ تَعَالَى قَائِمٌ بِالْقِسْطِ أَيْ الْعَدْلِ، ثُمَّ قَرَّرَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

* قُلْتُ: هَذِهِ الْآيَةُ كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي «مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ»^(١)، وَاسْتَنْبَطَ مِنْهَا عَشْرَةَ أَوْجُهٍ كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى فَضْلِ الْعِلْمِ وَشَرَفِ أَهْلِهِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْعَظِيمَةِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ مَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ حَيْثُ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ شُهَدَاءُ مَعَهُ وَمَعَ الْمَلَائِكَةِ، وَالْمُرَادُ بِهِمْ أُولُو الْعِلْمِ بِشَرِيعَتِهِ، وَيَدْخُلُ فِيهِمْ

(١) «مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ» (١/ ٤٨ - ٤٩، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ).

دُخُولًا أَوَّلِيًّا رُسُلُهُ الْكَرَامُ.

* قُلْتُ: وَهُمْ أَصْحَابُ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ حَقًّا، وَهُمْ الَّذِينَ أَدَّوْا الْوَحْيَ الْمَعْصُومَ إِلَى أُمَمِهِمْ حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، هَذِهِ الشَّهَادَةُ أَعْظَمُ شَهَادَةٍ لِعَظَمِ الشَّاهِدِ وَالْمَشْهُودِ بِهِ.

فَالشَّاهِدُ هُوَ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ وَأُولُو الْعِلْمِ، وَالْمَشْهُودُ بِهِ تَوْحِيدُ اللَّهِ فِي أُلُوهِيَّتِهِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، وَكَمَا سَيَأْتِي: لَمْ يَكُنِ النَّزَاعُ فِي إِثْبَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ، يَعْنِي لَمْ يَأْتِ النَّبِيُّ ﷺ بِ: «لَا رَبَّ إِلَّا اللَّهُ»، وَإِنَّمَا كَانَ النَّزَاعُ فِي الْأُلُوهِيَّةِ، فِي تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، فِي صَرْفِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذِهِ الشَّهَادَةُ أَعْظَمُ شَهَادَةٍ لِعَظَمِ الشَّاهِدِ وَالْمَشْهُودِ بِهِ، فَالشَّاهِدُ هُوَ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ، وَأُولُو الْعِلْمِ، وَالْمَشْهُودُ بِهِ تَوْحِيدُ اللَّهِ فِي أُلُوهِيَّتِهِ، وَتَقْرِيرُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

* قُلْتُ: ﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾: الْمُرَادُ بِهِمْ أَهْلُ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يُسْتَشْهَدُونَ عَلَى أَجَلٍ مَشْهُودٍ بِهِ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

وَأَمَّا قَوْلُ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾، فَقَائِمًا: حَالٌ مِنْ شَهَدٍ، يَعْنِي: حَالَةَ كَوْنِهِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: وَمَعْنَاهَا أَيُّ: مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ.

* قُلْتُ: فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهَا رُكْنَانِ؛ نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ، كَمَا أَنَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَفَرَّدَ فِي مُلْكِهِ، فَيَجِبُ أَنْ يُفْرَدَ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ ﷻ.

لَمَّا قَالَ لَهُمْ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالُوا: ﴿أَجْعَلِ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

لَمَّا قَالَ لَهُمْ: قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَهَمُّوا الْمُرَادَ، وَعَلِمُوا أَنَّ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ حَقٌّ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّهُ لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللَّهُ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنََّّهُمْ يَكْفُرُونَ بِكُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ.

وَلِذَلِكَ تَعَجَّبُوا لِأَنَّهُمْ فَهَمُّوا الْمَعْنَى، وَهَذَا -وَأَسْفَاهُ- مِمَّا يَجْهَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ؛ فَكَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا يَفْهَمُ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَهَمًّا صَحِيحًا، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَقْدِرُ مَا لَا يَقْدَرُ هَاهُنَا، فَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ مَوْجُودٌ، فَيَجْعَلُ الْخَبَرَ لِدِ (لَا) الَّتِي هِيَ لِلتَّبَرُّةِ، يُقَالُ لَهَا: (لَا) التَّبَرُّةِ، هِيَ: (لَا) نَافِيَةٌ لِلْجِنْسِ، يَعْنِي: أَنْتَ تَبَرَّأَ مِنْ جَمِيعِ الْمَعْبُودَاتِ إِلَّا اللَّهَ، عِنْدَمَا تَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يُقَالُ لَهَا: (لَا) التَّبَرُّةِ.

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَقْدِرُ لَا إِلَهَ مَوْجُودٌ، أَوْ لَا إِلَهَ مَعْبُودٌ إِلَّا اللَّهُ، الْإِلَهَةُ الْمَوْجُودَةُ كَثِيرَةٌ وَهِيَ بَاطِلَةٌ، وَلَكِنْ لَا إِلَهَ حَقٌّ إِلَّا اللَّهُ، فَهُوَ وَحْدَهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي يَسْتَقِيمُ، وَهَذَا مَا قَالَهُ الْمُشْرِكُونَ، أَوْ قَالُوا مَعْنَاهُ، لَمَّا دَعَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَإِلَى قَوْلٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالُوا: ﴿أَجْعَلِ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، فَهَمُّوا الْمُرَادَ^(١).

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» فِي (التَّفْسِيرِ، ٣٩: ١، رَقْمُ ٣٢٣٢)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ،

فَاحْفَظْ هَذَا جَيِّدًا، مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهَا رُكْنَانِ: نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ؛ لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ.

الْإِلَهَةُ الَّتِي تُعْبَدُ بِغَيْرِ حَقِّ كَثِيرَةٌ وَالْإِلَهَةُ الْبَاطِلَةُ كَثِيرَةٌ، وَالنَّاسُ يَعْبُدُونَ مَعْبُودَاتٍ شَتَّى إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ الَّذِينَ يُخْلِصُونَ الْعِبَادَةَ لَوَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ.

مَا زَالَ إِلَى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا أَقْوَامٌ يَعْبُدُونَ الْبَقَرَ، مَا زَالَ أَقْوَامٌ يَعْبُدُونَ الْحَجَرَ، هُنَاكَ وَثَنِيَّاتٌ مَا زَالَتْ قَائِمَةً عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَنْ يَعْتَرِفَ الْإِنْسَانُ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ بِأَنَّهُ لَا مَعْبُودَ حَقٌّ إِلَّا اللَّهُ ﷻ؛ لِأَنَّ (إِلَهَ) بِمَعْنَى مَالُوهُ، وَالتَّالَهُ: التَّعَبَّدُ.

=

قَالَ: مَرَضَ أَبُو طَالِبٍ فَجَاءَتْهُ قُرَيْشٌ، وَجَاءَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَ أَبِي طَالِبٍ مَجْلِسُ رَجُلٍ، فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ كَيْ يَمْنَعَهُ، قَالَ: وَسَكُوهُ إِلَى أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، مَا تُرِيدُ مِنْ قَوْمِكَ؟ قَالَ: «إِنِّي أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمُ الْعَجْمُ الْجَزْيَةَ»، قَالَ: كَلِمَةً وَاحِدَةً؟! قَالَ: «كَلِمَةً وَاحِدَةً» قَالَ: «يَا عَمَّ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، فَقَالُوا: إِلَهًا وَاحِدًا مَا سَمِعْنَا بِهِذَا فِي الْمِلَّةِ الْأَخْرَى إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ، قَالَ: فَتَزَلْ فِيهِمُ الْقُرْآنُ، ... الْحَدِيثُ.

وَالْحَدِيثُ ضَعْفٌ إِسْنَادُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الضَّعِيفَةِ» (١٣/ ٩٧، رَقْمُ ٦٠٤٢)، وَقَالَ: «وَالْقِصَّةُ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» فِي (الْإِيمَانِ، ٩، رَقْمُ ٢٤، ٢٥)، وَغَيْرُهُ، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مُخْتَصَرَةً جَدًّا؛ فَهُوَ شَاهِدٌ قَاصِرٌ».

* قُلْتُ: (وَالتَّالِيَةُ: التَّعْبُدُ)، مِنْ آلِهَ يَأْلُهُ إِلَاهَةً، أَي: عَبْدٌ يَعْبُدُ عِبَادَةً^(١).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَجُمْلَةُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» مُشْتَمِلَةٌ عَلَى نَفْيِ وَإِثْبَاتٍ، أَمَّا النَّفْيُ فَهُوَ «لَا إِلَهَ»، وَأَمَّا الْإِثْبَاتُ فَهُوَ «إِلَّا اللَّهُ».

و«اللَّهُ»: لَفْظُ الْجَلَالَةِ بَدَلٌ مِنْ خَبَرِ «لَا» الْمَحْذُوفِ، وَالتَّقْدِيرُ «لَا إِلَهَ حَقٌّ إِلَّا اللَّهُ» وَبِتَقْدِيرِنَا الْخَبَرَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ «حَقٌّ» يَتَبَيَّنُ الْجَوَابُ عَنِ الْإِشْكَالِ التَّالِي: وَهُوَ كَيْفَ يُقَالُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» مَعَ أَنَّ هُنَاكَ إِلَهَةً تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَقَدْ سَمَّاها اللَّهُ تَعَالَى إِلَهَةً وَسَمَّاها عَابِدُوهَا إِلَهَةً؟!

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [هود: ١٠١].

* قُلْتُ: فَسَمَّاها اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَهَةً بَاطِلَةً يَدْعُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَهُمْ دَعَوْهَا وَسَمَّوْها إِلَهَةً، فَقَدْ يَقُولُ إِنْسَانٌ مُسْتَشْكَالًا: كَيْفَ نَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهَذَا الْإِلَهَةُ تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟

قُل: التَّقْدِيرُ الصَّحِيحُ الَّذِي مَرَّ يَنْفِي عَنْكَ هَذَا الْإِشْكَالَ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ نُثْبِتَ الْأُلُوهِيَّةَ لِغَيْرِ اللَّهِ ﷻ وَالرُّسُلُ يَقُولُونَ لِأَقْوَامِهِمْ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]؟

(١) «الصَّحَاحُ» لِلْجَوْهَرِيِّ (٢٢٢٣/٦ - ٢٢٢٤)، «لِسَانُ الْعَرَبِ» (١٣/٤٦٧ - ٤٦٩)،

«الْمُضْبَحُ الْمُنِيرُ» (١٩/١).

وَالْجَوَابُ عَلَى هَذَا الْإِشْكَالِ يَتَبَيَّنُ بِتَقْدِيرِ الْخَبَرِ فِي «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فَنَقُولُ:
هَذِهِ الْأِلَهَةُ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ هِيَ إِلَهَةٌ لَكِنَّهَا إِلَهَةٌ بَاطِلَةٌ لَيْسَتْ إِلَهَةً حَقَّةً،
وَلَيْسَ لَهَا مِنْ حَقِّ الْأُلُوْهِيَّةِ شَيْءٌ، وَيَدُلُّ لِذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ
الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَكَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾
[الحج: ٦٢].

وَيَدُلُّ لِذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۖ (١٩) وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ
الْأُخْرَىٰ ۚ (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ ۚ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ۚ (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ
سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَعَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۚ﴾ [النجم: ١٩-٢٣].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ
سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَعَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۚ﴾ [يوسف: ٤٠].

إِذَنْ؛ فَمَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) لَا مَعْبُودَ حَقٌّ إِلَّا اللَّهُ ﷻ، فَأَمَّا الْمَعْبُودَاتُ سِوَاهُ
فَإِنَّ أُلُوْهِيَّتَهَا الَّتِي يَزْعُمُهَا عَابِدُوهَا لَيْسَتْ حَقِيقَةً أَيْ: أُلُوْهِيَّةٌ بَاطِلَةٌ.
* قُلْتُ؛ فَبِذَلِكَ يَنْحَلُّ الْإِشْكَالُ الَّذِي يُورِدُهُ مَنْ يُورِدُهُ.

مِنَ الْخَطِإِ أَنْ تَقُولَ: لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ؛ لِأَنَّ هُنَالِكَ مَعْبُودَاتٍ كَثِيرَةً، فَتَكُونُ
الْمَعْبُودَاتُ كُلُّهَا هِيَ اللَّهُ، يَعْنِي عِنْدَمَا تَقُولُ لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ هُنَالِكَ مَعْبُودَاتُ
تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَهَلْ يَعْنِي ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْمَعْبُودَاتِ هِيَ اللَّهُ ﷻ؟!

وَلَكِنْ قُلْ لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ، وَأَمَّا إِذَا مَا قُلْتَ لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ، كَلَامُ
الْبَشَرِ لَنْ يَضْطَرَّ فِيهِ أَحَدٌ إِلَى تَأْوِيلٍ، وَإِلَى حَمْلِهِ عَلَى وَجْهِ مَقْبُولٍ، وَلَكِنْ يُؤْخَذُ
عَلَى ظَاهِرِهِ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْعَوَامِّ، فَتَقُولُ لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ.

يَقُولُ لَكَ: وَهَذَا لِكَ مَعْبُودَاتٍ كَثِيرَةٍ تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَهَلْ تَعْنِي
بِكَلَامِكَ أَنَّ هَذِهِ الْمَعْبُودَاتِ هِيَ اللَّهُ؟ فَهِيَ تُعْبَدُ، وَأَنْتَ تَقُولُ لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ،
هَذِهِ تُعْبَدُ فَمَا تَقُولُ؟

لَا بُدَّ مِنَ الْإِحْتِرَازِ، وَخَاصَّةً إِذَا كَانَ الْكَلَامُ فِي الْعَقِيدَةِ، إِذَا كَانَ فِي مِثْلِ هَذَا
الْأَمْرِ الْجَلِيلِ وَالْمَقَامِ الْعَظِيمِ لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ، إِذَنْ كُلُّ هَذِهِ الْمَعْبُودَاتِ
الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ هِيَ بَاطِلَةٌ وَعِبَادَتُهَا بَاطِلَةٌ.



مِنْهَاجُ النُّبُوَّةِ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوضِّحُهَا، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿[الزخرف: ٢٦-٢٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]

* قُلْتُ: (وَتَفْسِيرُهَا): أَيُّ تَفْسِيرٍ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَتَفْسِيرُ الشَّهَادَةِ (الَّذِي يُوضِّحُهَا)، وَأَبَى أَنْ يَكِلَ فِي بَيَانِ مَعْنَى ذَلِكَ إِلَى أَحَدٍ سِوَى اللَّهِ، فَجَاءَ بِالْآيَةِ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، فَقَالَ: «وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوضِّحُهَا، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾»، يَعْنِي: مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ الَّتِي اتَّخَذْتُمُوهَا آلِهَةً وَعَبَدْتُمُوهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: إِبْرَاهِيمُ هُوَ خَلِيلُ اللَّهِ إِمَامُ الْحُنَفَاءِ، وَأَفْضَلُ الرُّسُلِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَبُوهُ آزَرُ.

﴿بَرَاءٌ﴾: صِفَةُ مُشَبَّهَةٍ مِنَ الْبَرَاءَةِ، وَهِيَ أَبْلَغُ مِنْ بَرِيءٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ يُؤَافِي قَوْلَ: «لَا إِلَهَ».

قَوْلُهُ: ﴿فَطَرَنِي﴾: قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: خَلَقَنِي ابْتِدَاءً عَلَى الْفِطْرَةِ، وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ يُؤَافِي قَوْلَ: «إِلَّا اللَّهُ».

* قُلْتُ: فَجَاءَ بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، وَلَا بُدَّ مِنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ فِي هَذَا الْمَقَامِ الْجَلِيلِ حَتَّى يَتَحَقَّقَ التَّوْحِيدُ، وَيَنْتَفِي الشُّرْكُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وَالْكَفْرُ بِالطَّاغُوتِ مَعْنَاهُ الْبِرَاءَةُ مِنَ الشُّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَإِنْكَارُ ذَلِكَ، وَاعْتِقَادُ بُطْلَانِهِ، وَجَاءَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ: ﴿إِنِّى بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾، فَهَذَا هُوَ النَّفْيُ يُسَاوِي (لَا إِلَهَ)، ﴿إِلَّا الَّذِى فَطَرَنِى﴾ يُسَاوِي (إِلَّا اللَّهَ)، وَهَذَا هُوَ الْإِثْبَاتُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ كَمَا أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ حَصُرَ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ.

* قُلْتُ: فَقَدْ تَفَرَّدَ بِالْخَلْقِ، وَهُوَ مَا دَامَ قَدْ تَفَرَّدَ بِالْخَلْقِ مُتَفَرِّدًا بِالْأَمْرِ. وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ عِنْدَ الطَّاعَةِ فِيهِ طَاعَةُ الْأَمْرِ بِالْإِثْبَاتِ بِهِ، وَالطَّاعَةُ عِنْدَ النَّهْيِ بِاجْتِنَابِهِ وَتَرْكِهِ، يَعْنِي بَتْرُكِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ، فَهَذِهِ هِيَ الْعِبَادَةُ بِالتَّزَامِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَلَهُ الْخَلْقُ وَلَهُ الْأَمْرُ الْكَوْنِيُّ وَالشَّرْعِيُّ.

* قُلْتُ: الْأَمْرُ الْكَوْنِيُّ: يَتَصَرَّفُ فِي مُلْكِهِ بِمَا يَشَاءُ، كَيْفَمَا يَشَاءُ، وَقَتَّمَا يَشَاءُ، عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي يُرِيدُ، فَهَذَا تَصْرِيفُ كَوْنِيٍّ قَدَرِيٍّ، وَيُنْزَلُ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مَا يَشَاءُ وَهَذَا هُوَ التَّقْدِيرُ الشَّرْعِيُّ، فَاللَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ شَرْعًا وَقَدَرًا.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿سَيَهْدِينِ﴾ سَيَدِّلُنِي عَلَى الْحَقِّ وَيُوفِّقُنِي لَهُ.

* قُلْتُ: السَّيْنُ هَا هُنَا فِي قَوْلِهِ: ﴿سَيِّدِينَ﴾ لِلتَّوَكِيدِ^(١)، يَعْنِي: سَيَّرْتُ شِدْنِي، وَيُؤَفِّقُنِي، وَيُثَبِّتُنِي عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أَي: هَذِهِ الْكَلِمَةُ، وَهِيَ الْبَرَاءَةُ مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَى اللَّهِ.

﴿فِي عَقِبِهِ﴾: فِي ذُرِّيَّتِهِ.

* قُلْتُ: وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنَى إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]: مُوَحِّدُونَ، تَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أَي: إِلَيْهَا مِنَ الشَّرِكِ.

* قُلْتُ: وَفِي الْآيَةِ: وَجُوبُ الْبَرَاءَةِ مِنَ الشَّرِكِ وَالْمُشْرِكِينَ.

وَفِي الْآيَةِ: فَضِيلَةٌ مَنْ يُوَرِّثُ أَوْلَادَهُ هُدًى وَصَلَاحًا، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُرَبِّيَ أَوْلَادَهُ، وَيُوَرِّثَهُمُ الْهُدَى وَالصَّلَاحَ، فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ جَعَلَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ.

(١) أَي: وَلَيْسَتْ لِلتَّسْوِيفِ وَالِاسْتِقْبَالِ؛ لِأَنَّهُ ﷺ قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨] بِدُونِهَا، وَالْقِصَّةُ وَاحِدَةٌ، وَالْمُضَارِعُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ لِلِاسْتِمْرَارِ، «تَفْسِيرُ أَبِي السُّعُودِ» (٨/ ٤٥)، دَارُ إِحْيَاءِ التَّراثِ الْعَرَبِيِّ، «حَاشِيَةُ الشَّهَابِ عَلَى تَفْسِيرِ النَّيْضَاوِيِّ» (٧/ ٤٣٨)، دَارُ صَادِرٍ - بَيْرُوتَ، «فَتْحُ الْبَيَانِ فِي مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ» لِصَدِّيقِ حَسَنِ خَانَ (١٢/ ٣٤٥).

وَفِيهَا: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مِنَ الْكَمَالِ الْعَقْلِيِّ وَالْإِدْرَاكِ السَّلِيمِ أَنْ يَتَّبَعَ الْمَرْءُ الْهُدَى، وَلَوْ خَالَفَهُ أَهْلُهُ، وَلَوْ خَالَفَ قَوْمَهُ، وَلَوْ خَالَفَ جَمِيعَ أَهْلِ بَلَدِهِ، عَلَيْهِ أَنْ يَتَّبَعَ الْهُدَى، وَأَنْ يَكُونَ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

قَوْلُهُ: ﴿قُلْ﴾: قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ ﷺ لِمُنَاطَرَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ هَذِهِ الْكَلِمَةُ هِيَ أَلَّا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ هِيَ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَمَعْنَى ﴿سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أَنَّنَا نَحْنُ وَإِيَّاكُمْ سَوَاءٌ فِيهَا.

* قُلْتُ: هَذِهِ آيَةٌ أُخْرَى فِي تَفْسِيرِ الشَّهَادَةِ، ﴿قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابُ تَعَالَوْا﴾، أَيُّ: هَلُمُّوا، وَأَقْبِلُوا ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾، وَالْكَلِمَةُ السَّوَاءُ هِيَ: الْكَلِمَةُ الْعَادِلَةُ^(١)، ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾، أَيُّ: إِلَى كَلِمَةٍ عَادِلَةٍ، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ كَمَا بَيْنَهَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَلَّا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ﴾؛ (أَلَّا نَعْبُدُ) هَذَا نَفْيٌ (إِلَّا اللَّهَ) هَذَا إِثْبَاتٌ.

وَهَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ، وَهَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ الْمَأْمُونُ ﷺ وَنَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ.

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٥/ ٤٧٣ - ٤٧٥، دَارُ هَجَرَ).

قَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾: قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيُّ: لَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِحَيْثُ يُعْظَمُ كَمَا يُعْظَمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُعْبَدُ كَمَا يُعْبَدُ اللَّهُ، وَيُجْعَلُ الْحُكْمُ لغيرِهِ.

* قُلْتُ: وَهَذَا مِنْ مُّقْتَضِيَاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّخِذُوا أَحِبَّارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، أَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ، وَحَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلَالَ (١).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أَعْرَضُوا عَمَّا دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ. قَوْلُهُ: ﴿فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾: قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيُّ: فَأَعْلِنُوا لَهُمْ وَأَشْهَدُوهُمْ أَنَّكُمْ مُّسْلِمُونَ لِلَّهِ، بَرِيئُونَ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعِنَادِ وَالتَّوَلَّى عَنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

* قُلْتُ: وَلَهَا رُكْنَانِ هُمَا: النَّفْيُ، وَالْإِثْبَاتُ، وَلَهَا شُرُوطٌ: عِلْمٌ يَقِينٌ، وَإِخْلَاصٌ، وَصِدْقٌ مَّعَ مَحَبَّةٍ، وَانْقِيَادٍ، وَالْقَبُولُ لَهَا

(١) أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» فِي (التَّفْسِيرِ، ١٠: ١٣، رَقْمُ ٣٠٩٥)، مِنْ حَدِيثِ: عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَتْنَ»، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ (بَرَاءة): ﴿أَحْبَارُهُمْ وَرُهْبَانُهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يُعْبَدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحْلَوْهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ»، وَحَسَنَهُ بِمَجْمُوعِ طُرُقِهِ الْأَلْبَانِي فِي «الصَّحِيحَةِ» (٣٢٩٣).

وَزَيْدَ ثَامِنُهَا الْكُفْرَانُ بِمَا مَعَ الْإِلَهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ قَدْ أَلْهَا
فَهَذَا زَادَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ (١).



(١) ذَكَرَهُ الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ بَازٍ فِي «فَتَاوَى نُورٍ عَلَى الدَّرَبِ» (١/ ٤٥) جَمَعَ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ الشُّوَيْعِرِ، وَقَالَ: «قَالَ شَيْخُنَا الشَّيْخُ سَعْدُ بْنُ حَمْدٍ بْنُ عَتِيقٍ رَحِمَهُ اللَّهُ»، وَكَذَا نَسَبَهُ الشَّيْخُ الْفُوزَانُ فِي «شَرْحِ رِسَالَةِ تَفْسِيرِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، ضَمَّنَ سِلْسِلَةَ شَرْحِ رِسَائِلِ الْإِمَامِ» جَمَعَ عَبْدُ السَّلَامِ السُّلَيْمَانِ (ص ١٤٢، دَارُ الْفُرْقَانِ - الْقَاهِرَةُ).